التدبر
حكمه وأهميته

إعداد: د. وفاء عمر هوساوي
أستاذ مساعد بكلية الآداب
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة جدة – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة العقل، وتفضل علينا بالفهم والتذكر، وأمرنا بالتدبر والاستنباط والاعتبار، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فإن تحرير الحقائق العلمية وضبطها من أهم المسائل التي عني بها العلماء لضبط العلوم[1] والمعارف، وإن كلمة التدبر من الألفاظ التي عني بها علماء اللغة والتفسير لتحديد معناها، وبيان الفرق بينها وبين الألفاظ القريبة منها، وهي الاستنباط، والتفسير، والتأويل، والبيان، والفهم.

(١) بحث بعنوان: "تحرير معنى التدبر عند المفسرين"، الكاتب: فهد الوهبي، موقع ملتقى أهل التفسير الإلكتروني، ١٤٢٩/١٢/١٦هـ- ٢٠٠٨/١٢/١٤م.

وهذا البحث سيتم فيه بيان ماسبق ذكره، وبيان حكم التدبر والآيات الدالة عليه، وأهميته؛ لكونه من لوازم قراءة القرآن وواجباته، ولكونه الغاية التي أنزل من أجلها، قال -تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾{ص:٢٩}.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث فيما يأتي:

١-أن التدبر موضوع أساسي، وله علاقة وثيقة بالقرآن الكريم.

٢-أن التدبر هو المقصود الأعظم من تنزل القرآن الكريم.

٣-تدبر القرآن الكريم له أهمية وقيمة عظيمة، وبه تنال الخيرية والأفضلية التي بينها رسول الله ﷺ.

أسباب اختيار البحث:

١-الاقتداء بالرسول ﷺ في تدبر كتاب الله ﷻ.

٢-الإسهام في وضع لبنه يسيره في خدمة كتاب الله، والاهتداء بآياته، والتي لها دور كبير في صلاح الفرد والمجتمع.

٣-توجيه الناس للاهتداء بالقرآن الكريم، وتدبره؛ امتثالاً لأمر الله تعالى بذلك.

منهج البحث:

١-الاعتماد على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والتحليلي في البحث.

٢-عزو الآيات إلى سورها، وذكر ذلك مع رقمها بجانب الآية.

٣-عزو الأحاديث إلى رواتها في الهامش.

٤-توثيق النصوص وأقوال العلماء.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مايلي:

أولاً: المقدمة: وذكرت فيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، وخطة البحث.

ثانيًا: المباحث، واحتوى البحث على المباحث التالية:

المبحث الأول: معنى التدبر لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: مرادفات التدبر والعلاقة بينهما.

المبحث الثالث: حكم التدبر والآيات الدالة عليه.

المبحث الرابع: أركان التدبر.

المبحث الخامس: أقسام الناس في تدبر القرآن الكريم.

المبحث السادس: غاية التدبر وأهميته.

ثالثًا: الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول
معنى التدبر

التدبر لغةً:

مصدر للفعل الماضي (تدَبَّرَ) على وزن تفعّل، وأصل هذه المادة (دَ بَ رَ) يدل على آخر الشيء وخَلْفِه[١]. والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تئول إليه عاقبته[٢].

قال الزجاج: "التدبير: النظر في عاقبة الشيء"[٣].

وفي لسان العرب: "دبّر الأمر، وتدبّره، أي: نظر في عاقبته، وعرف الأمر تدبرا، أي: بآخره. فتدبر الكلام، أي: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة... والتدبر في الأمر: التفكر فيه"[٤].

وفي التعريفات للجرجاني: التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور[٥]، وفي المعجم الوسيط: "تدبر الأمر: ساسه ونظر في عاقبته"[٦].

وأتى لغةً بمعانيَ أخرى، منها:

١- الذهاب والإنصراف:

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٦٦/٢، وانظر: ١١٧/٢، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت-لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩م، ط/٢، ت: عبدالسلام محمد هارون.

(٢) انظر: الصحاح في اللغة ١٩٧/١، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ت: أحمد عبدالغفور عطار.

(٣) زاد المسير: ٧٢/٢ ، عبدالرحمن بن علي الجوزي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط/٣.

(٤) لسان العرب ٢٦٨/٤، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/١.

(٥) التعريفات : ص/١٦٧، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط/١، ت: إبراهيم الإبياري.

(٦) المعجم الوسيط ٢٦٩/١، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ت: مجمع اللغة العربية.

قال ابن سيده: "دبر الليل والنهار، يدبر دبورًا"، أي: ذهب، وولى[١].

٢- مؤخرة الشيء: قال الخليل: "دُبُر كل شيء: خلاف قُبُلِه، ماخلا قولهم: جعل فلان قولي دَبْرَ أُذُنه، أي: خلف أُذُنه، ودُبُرَ أُذنُه[٢].

٣- التتبع والتعقب: يقول الخليل: "والدبر: التابع، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْرًا، أي: تَبِعَ الأثر، وقوله -تعالى:﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾{المدثر: ٣٣}، أي: ولَّى ليذهب "[٣].

٤- التعقل: "التعقل: التدبر، وتعقلت الشيء: تدبرته"[٤].

التدبر شرعا:

أما معناه شرعًا فقد ذكر العلماء والمفسرون قديمًا وحديثًا عدة تعريفات لتدبر القرآن، منها:

قال **الرازي** -رحمه الله: التدبير والتدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها[٥].

وقال **أبو حيان** -رحمه الله: هو التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء[٦].

---

(١) المخصص، ابن سيده، باب فعلت وأفعل ٣٤٥/٣، أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ت: خليل بن إبراهيم جفال.

(٢) العين مادة دبر، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مكتبة الهلال، ت: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي.

(٣) العين، مادة دبر .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ١٨٨/١، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ١٤١٠، ط/١، ت: د. محمد رضوان الداية.

(٥) تفسير الرازي ٣٠٠/٥، فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ط/١.

(٦) البحر المحيط ٣٧٩/٧، محمد أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط/١، ت: عادل عبد الموجود.

وقال **ابن القيم** –رحمه الله: هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله[١].

وقال **ابن عاشور** –رحمه الله: هو إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على مانصبت له، وأصله أنه من النظر في دبر الأمر، أي: فيما لايظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء[٢].

وقال **الميداني**: هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة[٣].

وقال الدكتور **مساعد الطيار**: هو إعمال الذهن بالنظر في آيات القرآن؛ للوصول إلى معانيها، ثم النظر إلى مافيها من الأحكام، والمعارف، والعلوم، والعمل[٤].

ونستطيع مما سبق أن نقول إن مفهوم تدبر القرآن بمعنى مختصر جامع شامل هو: **الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال**[٥].

(١) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ٤٥١/١، محمد بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م، ط/٢، ت: محمد حامد الفقي.

(٢) التحرير والتنوير : ٤٨٣/٣، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط/ بدون.

(٣) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله – عز وجل–تأملات، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٠، در القلم، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط/١.

(٤) مفهوم التدبر (ص٧٧-٧٨)، إعداد: مساعد الطيار، الأستاذ المشارك بكلية المعلمين بالرياض، بحث مقدم إلى مؤتمر مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر.

(٥) مفهوم التدبر في ضوء القران والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، إعداد: د. محمد الربيعة، الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة القصيم، موقع ملتقى أهل التفسير.

المبحث الثاني

مرادفات التدبر والعلاقة بينهما

الألفاظ والمرادفات القريبة من التدبر هي: التفسير، والتأويل، والاستنباط، والتفكر، والتذكر، والتأمل، والاعتبار.

وسيتم بيان الفرق والعلاقة بين كلمة التدبر وأهم المرادفات القريبة منه، وهي: التفسير، والتأويل، والاستنباط.

أولًا: الفرق بين التدبر والتفسير، والعلاقة بينهما:

التفسير في اللغة: تفعيل من الفَسر، وهو البيان[(١)]، أو الإبانه وكشف المغطى[(٢)]، ويقال: استفسرته كذا، أي: سألته أن يفسره لي[(٣)].

وقال ابن الأعرابي: الفسر: كشف ماغطي، وقال الليث: الفسر: التفسير، وهو بيان وتفصيل الكتاب[(٤)].

وعرفه العلماء اصطلاحًا بعدة تعاريف، منها:

١-قال **الزرقاني** -رحمه الله -تعالى: علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله -تعالى- بقدر الطاقة البشرية[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص٨١٨)، لسان العرب لابن منظور٥/٥٥، الصحاح للجوهري٢/٧٨١.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري، ١٢/٤٠٦، القاموس المحيط ٢/١١٤، محمد يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ بدون.

(٣) الصحاح للجوهري، ٢/٧٨١، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس ١٣/٣٢٤، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، مجموعه من المحققين، ط/ بدون.

(٤) تهذيب اللغة ١٢/٤٠٦-٤٠٧، أبو منصور محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط/١، ت: محممد عوض مرعب، وانظر: كتاب العين للخليل٧/٢٤٧.

(٥) مناهل العرفان ٢/٧، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ط/١.

٢-وعرفه **الزركشي** -رحمه الله- تعالى- بأنه: علم يعرف به فهم كتاب المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه(١).

٣-وعرفه **الطاهر بن عاشور** -رحمه الله- تعالى- بأنه: اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، ومايستفاد منها، باختصار أو توسع(٢).

٤-وعرفه **الذهبي** بأنه: بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن(٣) .

مما سبق ذكره يتضح لنا:

- أن المقصود الأصلي للتفسير هو: بيان معاني كلام الله -تعالى، أما مقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار، وهو لايكون إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية.
- أن التدبر لايحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى العام مع صدق الطلب، أما التفسير فله شروط عند العلماء؛ لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض العلماء.
- أن التفسير في عمل المفسرين يشمل التدبر، وكتب التفسير مشتملة على الكثير من تدبر القرآن والحث عليه، وذكر لثمرات تدبر القرآن الكريم.
- أن التدبر من أكبر مقاصد التفسير؛ وذلك لأن كثيرًا من آيات القرآن الكريم هي آيات عظات وعبره، وبيان تلك العبر والعظات هي من التفسير قطعًا؛ لكونها بيان المراد من هذه الآيات(٤).

---

(١) البرهان في علوم القران ١٣/١، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبوعبدالله، دار المعرفة، بيروت،١٣٩١م، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم.

(٢) التحرير والتنوير١١/١.

(٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١٧/١، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط: بدون، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٤) انظر: بحث بعنوان: "تحرير معنى التدبر عند المفسرين"، ص١١١، د. فهد الوهبي، المحاضر في قسم الدراسات القرآنية، ج. طيبة. بحث مقدم للملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم.

ثانيًا: الفرق بين التدبر والتأويل، والعلاقة بينهما:

التأويل في اللغة معناه: المآل، والمرجع. وأولَّ الكلام، وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره.

وأتى بمعنى التفسير(١)، ومنه قوله -تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ {الكهف: ٨٢}.

وأتى بمعنى: مايصير إليه الشيء في ثاني حال، فتأويل الخبر بوقوع المخبر، ومنه قوله -تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾ {يوسف: ١٠٠}.

فتأويل الكلام معناه: بيان مايرجع إليه من المعاني، وهو بهذا المعنى يكون أقرب المرادفات للتدبر؛ لاشتراكهما في الوصول للغاية، والمآل، والمقصد، لكن قد يكون في التأويل من الخفاء في الدلالة ماليس في التدبر(٢).

والتدبر أمر دعانا الله ﷻ إليه في القرآن الكريم، وهو متاح لكل الخلق ممن ملك الأداة، أما التأويل فهو محصور في أهل الرسوخ أمثال حبر الأمة وترجمان القرآن. فهو يبحث فيما خفيت دلالته، وصعب على سائر الناس إدراك المراد منه، قال -تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ {آل عمران: ٧}(٣).

---

(١) لسان العرب مادة، (أول).

(٢) انظر: بحث مفهوم التدبر عند اللغويين. د/عويض العطوي، عميد كلية المعلمين، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة تبوك، بتصرف يسير، (ص٢٧)، بحث مقدم للملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم.

(٣) انظر: بحث مفهوم التدبر عند اللغويين. د/عويض العطوي، بتصرف يسير، (ص٢٦-٢٧)، بحث مقدم للملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم.

ثالثًا: الفرق بين التدبر والاستنباط، والعلاقة بينهما:

الاستنباط لغة: الاستخراج[١]. وهو: استفعال، من أنبطت كذا[٢]، ومنه قوله -تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾{النساء:٨٣}، أي: يستخرجونه[٣].

قال ابن جرير -رحمه الله: وككل مستخرج شيئًا، كان مستترًا عن أبصار العيون، أو عن معارف القلوب؛ فهو مستنبط[٤].

ويستخدم لفظ الاستنباط لكل ما أخرج أو أظهر بعد خفاء، قال الزبيدي: "وكل مأظهر بعد خفاء فقد أنبط أو استنبط، وفي البصائر: وكل شئ أظهرته بعد خفائه فقد أنبطته، واستنبطته[٥].

أما معناه اصطلاحًا فمن المعاني التي ذكرها بعض المفسرين:

الزمخشري -رحمه الله -تعالى: مايستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص٩٧٢)، الصحاح للجوهري ١١٦٢/٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٧٨٨)، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ت: محمد سيد كيلاني.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١٣٤/١، غريب القرآن وتفسيره للزبيدي (ص١٢٢)، معاني القرآن للزجاج ٨٣/٢، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ت: عبدالجليل عبده شلبي، معالم التنزيل للبغوي ٤٥٦/١، البغوي، دار المعرفة، بيروت، ت: خالد عبد الرحمن العك.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨٤/٤، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٥) تاج العروس للزبيدي ١٢٩/٢٠.

(٦) الكشاف ١١٧/٢.

ابن القيم -رحمه الله- تعالى: استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير المستنبط[١].

وجاء في تعريفه أيضًا أنه: استخراج الأحكام الخفية والفوائد العلمية من النصوص الشرعية، اعتمادًا على القريحة الذهنية.

وبهذا يتبين لنا أن الاستنباط في استعمال المفسرين هو: استخراج ما وراء ظواهر معاني الألفاظ من الآيات القرآنية.

والمرادُ بظواهر معاني الألفاظ: ما يتوقف فهم القرآن عليها من المعاني المباشرة[٢].

فالاستنباط عملية عقلية تعتمد على قدرة المجتهد في استخراج الأحكام. والفوائد المترتبة على النص الشرعي[٣].

وبعد بيان معنى الاستنباط يمكن بيان العلاقة بينه وبين التدبر فيما يلي:

١-أن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره والتأمل في معانيه[٤].

٢- الاستنباط لايكون إلا بعد فهم المعنى (التفسير)، وأما التدبر فيتجاوزهما إلى قصد التذكر والاتباع.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/١٧٢. أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ت: محمد عبد السلام إبراهيم.

(٢) بحث: معالم الاستنباط في علم التفسير، أبو بيان نايف سعيد الزهراني، بحث منشور في العدد الرباع من مجلة معهد الإمام الشاطبي.

(٣) البساطي (ص٧٥).

(٤) بحث: معنى التدبر عند المفسرين، د/فهد مبارك الوهبي، ص١٠٢، بحث مقدم للملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم.

٣-أن التدبر يعم العلماء وغيرهم، أما الاستنباط فخاص بأُولي العلم، ومن لطيف التناسب بين الآيات الدالة على هذا الأمر أن آية الاستنباط جاءت عقب آية التدبر كما في قوله -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ {سورة النساء: ٨٢-٨٣}. فوجه الأمر بالتدبر للعموم، وخص الاستنباط بأولي العلم[١].

ونخلص مما سبق بيانه أن العلاقة بين التدبر ومرادفاته تكمن في التقارب، حيث قال ابن القيم -رحمه الله- تعالى: "هذه معانٍ متقاربةٌ تجتمع في شيء، وتتفرق في آخر، فيسمى تفكرًا؛ لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده...، ويسمى تدبرًا؛ لأنه نظر إلى أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها، وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعل، كالتجرع، والتفهم، والتبين"[٢].

(١) بحث: معنى التدبر عند المفسرين، د/فهد مبارك الوهبي، ص١٠٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١٨٢/١ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، لابن قيم الجوزية، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

المبحث الثالث

حكم التدبر والآيات الدالة عليه

دعا الله -تعالى- عباده إلى التدبر فيما أنزله إليهم من آيات كتابه العزيز بصور متعددة، هي:

أولًا: بين أن التدبر هو المقصود بإنزال القرآن الكريم بقوله -تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ {ص:٢٩}.

ثانيًا: أنكر على من أعرض عن تدبره، كما في قوله -تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ {المؤمنون:٦٨}.

ثالثًا: أوجب الله -تعالى- التدبر -كما قال الشوكاني -رحمه الله، بدلالة قوله -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ {النساء:٨٢}، وقوله -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ {محمد:٢٤}[1].

وقد جاء الأمر بتدبر القرآن الكريم في أربع آيات كان السياق في آيتين موجهًا للكفار، قال -تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾ {المؤمنون :٦٦-٦٨}، وقال -تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ {ص:٢٩}.

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١/٧٨٢، محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط: بدون.

وفي آيتين موجهًا للمنافقين، قال -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ {النساء:٨٢}، وقال -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ {محمد:٢٤}.

ولايعني هذا عدم دخول المؤمنين، بل هم مأمورن بذلك، وهم أولى به من غيرهم، وتحتمل آية سورة (ص) أن يكون المؤمنون هم الموجه لهم بالخطاب بالأمر بالتدبر، ويشهد لذلك قراءة من قرأ: (ليدبروا ءايته) {ص:٢٩} بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يامحمد وأتباعك[١].

وتارك التدبر داخل في قوله -تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ {الفرقان:٣٠}، قال الإمام بن كثير -رحمه الله -تعالى: "وترك تدبره وتفهمه من هجرانه"[٢].

قال الطبري -رحمه الله- في قوله -تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ {المؤمنون:٦٨}: يقول -تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا مافيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي أحتج بها عليه فيه"[٣].

(١) انظر: جامع البيان، ١٥٣/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٠٩/٦، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

(٣) جامع البيان، ٥٦/١٩.

المبحث الرابع

أركـان التـدبر

لابد للتدبر من ركنين أساسيين، باجتماعهما يتميز التدبر عن غيره، وهما

١- **الركن النظري**: وهو يمثل القسم الأول من التعريف (الوقوف مع الآيات والتأمل فيها)، ويدخل في هذا الركن التفسير، والاستنباط، والتفكر، والتأمل.

٢- **الركن العملي**: وهو يمثل القسم الثاني من التعريف (التفاعل مع الآيات، وقصد الانتفاع والامتثال)، ويدخل في هذا الركن الاعتبار، والاتعاظ، والتذكر[١].

(١) مفهوم التدبر في ضوء القران والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، إعداد: د. محمد الربيعة، موقع ملتقى أهل التفسير.

المبحث الخامس

أقسام الناس في تدبر القرآن الكريم

ينقسم المؤمنون في التدبر للقرآن الكريم إلى أربعة أنواع بحسب المتدبر، وهم:

الأول: تدبر عامة المسلمين: والمقصود به نظرهم في القرآن، وفهمهم مايمكن فهمه والعمل به، وهذا أمر واجب على كل الأمة بحسب الطاقه، وقدر الاستطاعة.

الثاني: تدبر العلماء: والمقصود به نظرهم في القرآن بحسب ما أوتوا من علوم شرعية، ولغوية، تعطيهم قدرة أكبر على الفهم والاستنباط والنظر؛ ليستخرجوا كنوزه، ويعملوا بها ويبلغوها؛ وهذا واجب على أهل العلم، فهو فرض كفاية.

الثالث: تدبر أهل الاختصاص: وذلك أن كل متخصص في فن أو علم، كاللغة، والطب، والسياسة، وغيرها، يستنبط من القرآن وقفات تدبرية لا يجدها غيره؛ لأن تخصصه يفيده في إبراز بعض المعاني.

الرابع: تدبر أهل الايمان: وهو التدبر الذي يحصل لأهل الايمان، وأصحاب التقوى والزهد والورع، وهو مايحصل لكثير من المسلمين في أوقات الصفا، وارتفاع الإيمان، والخلوات مع رب السماوات[١].

(١) انظر: تدبر القرأن تحرير وتأصيل (ص١٨٥)، وبحث: (قواعد في تدبر القرآن)، لمحمد كالو، ص١٣، أحد بحوث مؤتمر للهيئة العالمية لتدبر القرآن، ومبادئ تدبر القرآن الكريم. عبدالمحسن المطيري (ص٤٢-٤٣).

المبحث السادس

غاية التدبر وأهميته

بين الله –تعالى– المقصود من إنزال القرآن الكريم، وهو العمل به، والالتزام بتوجيهاته وإرشاداته، وهذه الأمور لايمكن تحصيلها بدون تدبر القرآن الكريم والتفكر في معانيه، قال –تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ (ص:٢٩)، يقول الامام الطبري –رحمه الله –تعالى: "ليتدبروا حجج الله فيه، وماشرع الله فيه من الشرائع؛ فيتعظوا، ويعملوا به"(١).

وقال السيوطي –رحمه الله –تعالى: "تسن القراءة بالتدبر والفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم"(٢).

فليس المقصود مجرد التلاوة، وإنما المقصود أن يكون هذا القرآن منهاجًا للعمل وهاديًا للسلوك؛ لأن من تدبر كلام الله –تعالى– كان ذلك دافعًا للعمل به، ومن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال النبي ﷺ: **"إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين"**(٣)، وفي الآخرة له الدرجات العلى، عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران"**، وضرب رسول الله ﷺ ثلاثة أمثلة مانسيتهن

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ٥٦/١٩ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ١/ ١٤٠، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط/١، ت: سعيد المندوب.

(٣) رواه مسلم برقم (٨١٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن وفضل من تعلم حكمه، ٥٥٩/١، والدارمي برقم (٣٣٦٥)، ٥٣٦/٢.

بعد، قال: **"كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان فيهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما"**[١].

وقد ذكر ابن عثيمين –رحمه الله –تعالى– مايؤكد هذه الحقيقة فقال: "إن الله –تعالى– بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها، والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظ لاتأثير لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه"[٢].

(١) رواه مسلم برقم (١٣٩١)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.
(٢) أصول في التفسير (ص٢٣)، محمد بن صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله -عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد فقد تم هذا البحث بتوفيق الله وعونه، وكان من أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

١-أن التدبر لايكون إلا بالتأمل، قال البيضاوي في تفسير قوله -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ {النساء:٨٢}: يتأملون معانيه.

٢-أن غاية التدبر هي الهداية، والاتعاظ، والاعتبار.

٣-أن تدبر القرآن مبني على معرفة التفسير وفهم المعاني، قال الزمخشري: "فمعنى تدبر القرءان: تأمل معانيه متبصر مافيه".

٤-أن الأمر بالتدبر يدل على أن القرآن معلوم المعنى.

٥-التدبر قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب.

٦-أن تدبر القرآن الكريم ليس خاصا بالمسلمين والمؤمنين، ولكن الأمر به موجه للكفار والمشركين والمنافقين، والهدف من ذلك الحصول على الهداية لدين الحق، والاتعاظ، والاعتبار، والاهتداء بما جاء في القرآن الكريم من العبر والهدايات الموصلة للدخول في دين الاسلام.

٧-الدعوة للتدبر -كذلك- ليست خاصة بأهل العلم ولا الراسخين فيه، بل هي عامة لكافة المسلمين؛ للاتعاظ والاعتبار بهدايات القرآن الكريم.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: كتب التفسير:

١) **البحر المحيط**، لأبي حيان، محمد أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط/١، ت: عادل عبد الموجود.

٢) **التفسير والمفسرون**، محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهره، ط: بدون، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣) **التحرير والتنوير** للطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط/ بدون.

٤) **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

٥) **التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ط/١.

٦) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٧) **زاد المسير**، لابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي الجوزي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط/٣.

٨) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط: بدون.

٩) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: عبدالرزاق المهدي.

١٠) **معالم التنزيل**، للبغوي، دار المعرفه، بيروت، ت: خالد عبدالرحمن العك.

ثانيا: علوم القرآن الكريم:

١) **أصول في التفسير**، محمد بن صالح العثيمين، المكتبة الإسلامية، ط/١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢) **البرهان في علوم القرآن**، البرهان في علوم القران ١٣/١، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله، دار المعرفه، بيروت،١٣٩١م، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣) **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط/١، ت: سعيد المندوب.

٤) **غريب القرآن وتفسيره** للزبيدي.

٥) **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله -عز وجل- تأملات**، عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، در القلم، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ط/١

٦) **مفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ت: محمد سيد كيلاني.

٧) **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة.

٨) **معاني القرآن**، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط/١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،ت: عبدالجليل عبده شلبي.

٩) **مناهل العرفان**، محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط/١.

ثالثا: الحديث النبوي:

١) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢) **سنن الدارمي**، عبدالله عبد الرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ط/١، ت: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي.

رابعا: كتب أخرى:

١) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ت: محمد عبدالسلام إبراهيم.

٢) **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م، ط/٢، ت: محمد حامد الفقي.

٣) **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت

خامسا: كتب اللغة:

١) **تاج العروس** للزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية، مجموعة من المحققين، ط/ بدون.

٢) **التعريفات** للجرجاني، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ط/١، ت: إبراهيم الإبياري.

٣) **التوقيف على مهمات التعاريف**، للمناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر-بيروت، دمشق، ١٤١٠، ط/١، ت: د. محمد رضوان الداية.

٤) **تهذيب اللغة**، للأزهري، أبو منصور محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط/١، ت: محممد عوض مرعب.

٥) **العين** للخليل. الخليل بن أحمد الفراهيدي، مكتبة الهلال، ت: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي.
٦) **القاموس المحيط**، محمد يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ بدون.
٧) **الصحاح**، للجوهري.
٨) **المفردات في غريب اللغة**، للراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ت: محمد سيد كيلاني.
٩) **المخصص لابن سيده**، أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م، ت: خليل بن إبراهيم جفال.
١٠) **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، بيروت–لبنان، ١٤٢٠هـ–١٩٩م، ط/٢، ت: عبد السلام محمد هارون.
١١) **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى، وآخرون، ت: مجمع اللغة العربية.
١٢) **لسان العرب**، لابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/١.

الأبحاث والكتب المتعلقة بالموضوع:

١) **بحث تحرير معنى التدبر عند المفسري**، فهد الوهبي، بحث في موقع أهل التفسير الإلكتروني.
٢) **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله –عز وجل– تأملات**، لحسن حبنكة الميداني.

٣) **بحث قواعد في تدبر القرآن الكريم**، محمد كالو، مؤتمر الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

٤) **بحث معالم الاستنباط عند المفسرين**.

٥) **مبادئ تدبر القرآن الكريم، عبدالمحسن المطيري**.

٦) **بحث مفهوم التدبر**، د. مساعد الطيار، مؤتمر مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، إعداد مركز تدبر.

٧) **مفهوم التدبر عند اللغويين**، د. عويض العطوي، مؤتمر مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، إعداد مركز تدبر.

٨) **مفهوم التدبر عند المفسرين**، د. فهد الوهبي، موقع ملتقى أهل التفسير.

٩) **مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال المفسرين وأحوالهم**، د. محمد الربيعة، مفهوم التدبر عند اللغويين، عويض العطوي، مؤتمر مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، إعداد مركز تدبر.